

تأثير العنف الأسري على عملية التنشئة الاجتماعية للطفل

أ.مهدي تواتي
أ.عبد النور تاديرت.
جامعة البليدة 2

ملخص

أثبتت العديد من الدراسات أن العنف الأسري يعتبر من أخطر أنواع العنف، وهو نمط من أنماط السلوك العدواني الذي يستخدم فيه القوي سلطته وقوته على من هو أضعف منه باستخدام مختلف وسائل العنف كالاعتداء جسدياً أو لفظياً أو معنوياً، وليس بالضرورة أن يكون الممارس للعنف في الأسرة هو أحد الزوجين وإنما الأقوى في الأسرة، وليس بالغريب أن يكون أحد الوالدين هو ضحية العنف خاصة العجزة وكبار السن والأشخاص من ذوي الإعاقة، وفي الغالب تكون المرأة هي الضحية الأولى ويتبعها الأطفال باعتبارهم الفئة الأضعف، وهذا ما يترتب عليه تراكم أضرار بدنية ونفسية وصحية واجتماعية خاصة عند الأطفال الصغار الذين ينشئون في هذا الجو المشحون فينشئون تنشئة عنيفة.

الكلمات المفتاحية: العنف الأسري، التنشئة الاجتماعية، الطفل.

مقدمة:

يتبادر في أذهان الكثير من الناس أن العنف الأسري هو العنف الجسدي لكن من آثار العنف الأسري خاصة على الطفل هو العنف النفسي والذي تكون آثاره مستمرة على المدى البعيد، وتكمن خطورة العنف النفسي حيث لا تكون آثاره مرئية وواضحة وبالتالي عملية اكتشافها تكون صعبة وتمتد تأثيراته السلبية إلى مراحل بعيدة المدى خاصة إذا تعرض الطفل إلى العنف الأسري في السنوات الأولى من نموه إلى مرحلة 6 سنوات، وتظهر هذه الآثار في قدراته الإدراكية والعقلية وتفاعله في المدرسة ومع الآخرين، كما تظهر عند الطفل مشكلات لغوية وعدم الطلاقة في الكلام ويفقد ثقته في نفسه غالباً، ويصبح الطفل غير قادر على التفرغ والتعبير عن ذاته ويعاني من حالة الإنطواء ويفضل العزلة كما يكتسب سلوكيات عدوانية ويمارس أنواع العنف مع الآخرين أو مع إخوانه داخل الأسرة.

والأسرة كنظام اجتماعي يوجد في كل المجتمعات، هي جماعة مكونة من الزوج والزوجة والأبناء الذين يقيمون في مسكن واحد، وتسودها علاقات اجتماعية أسرية تقوم بين أدوار الزوج والزوجة والأبناء، قد يتخللها بعض السلوكيات السلبية التي تؤثر على تنشئة الطفل خاصة عندما يستخدم العنف كوسيلة للتعامل، والعنف الأسري (Family Violence) يتجاوز القسوة والنبد في أساليب التعامل والتنشئة حدةً وتأثيراً في الفرد، وهو ظاهرة شائعة وخطيرة وآثارها ليست محصورة في الإصابات الجسدية بل فيما ينتج عنها أيضاً من خلل في الأداء الاجتماعي والإنفعالي للصحية، وأشكال العنف الأسري متعددة منها: ضرب الزوجات وإيذاء الأطفال جسدياً ولفظياً وإيذاء الآباء المسنين... ومن هذا كله يتجلى لنا التساؤل الرئيسي التالي؟
كيف يؤثر العنف المنزلي على عملية التنشئة الاجتماعية للطفل؟

1- مفهوم العنف الأسري:

يشير هذا المفهوم بوجه عام إلى سوء معاملة شخص لشخص آخر تربطه به علاقة وثيقة مثل العلاقة بين الزوج والزوجة وبين الآباء والأبناء وبين الإخوة وبين الأقرباء بوجه عام، ويتداخل مفهوم العنف الأسري مع مفاهيم كثيرة قريبة منه مثل العنف المنزلي أو سوء معاملة أحد الزوجين للآخر أو سوء معاملة الأطفال وغير ذلك من المفاهيم تشترك في هذا المعنى، وتقع أعمال العنف الأسري غالباً على الأطفال، فعادة ما تقع عليهم ممارسات العنف من الأب أو الأم أو ممن يقوم بدورهما في حالة غياب أحدهما أو كليهما، إضافة إلى الأثر النفسي والتربوي لما يلاحظه الطفل من عنف داخل الأسرة، حتى وإن كان هو غير معني بممارسة العنف عليه فإنه يتأثر سلباً إذا رأى أساليب العنف هي الغالبة في التعامل بين والديه أو إخوانه الذين يفوقونه سناً. ويمارس العنف داخل الأسرة أيضاً ضد كبار السن من الأجداد والجدات وأخيراً فإن الأطفال قد يوجهون العنف إلى ذويهم في شكل أعمال انتقامية ترمي إلى التخريب والإيذاء. (أحمد السيد وآخرون، 2001، 351-353)

العنف الأسري في أدبيات الأمم المتحدة:

عرّفت منظمة الصحة العالمية في العام 2002م. العنف الأسري بأنه «كل سلوك يصدر في إطار علاقة حميمة ويسبب أضراراً أو آلاماً جسمية أو نفسية أو جنسية لأطراف تلك العلاقة». ويشمل العنف الأسري على: عنف الزوج تجاه زوجته، وعنف الزوجة تجاه زوجها، وعنف الوالدين تجاه الأولاد وبالعكس.

وتختلف هذه الأنواع من ناحية دوافعها ومدلولاتها. فمن ناحية الدافع يأتي الاختلاف في دوافع كل طرف لارتكاب الجرم، فصحيح أن الجرم المرتكب قد يكون واحداً مثل الضرب أو

الإهانة أو الاعتداء الجنسي، ولكن دافع الأهل في تأديب أبنائهم يختلف عن دافع الزوج في ضرب زوجته» (طريف شوقي، محمد فرج، 2002، ص7).

أما من ناحية الدلالات، فإن العنف ضد الآباء - على سبيل المثال - يحمل دلالات مَرَضِيَّة على مستوى الفرد والمجتمع تختلف عن تلك التي يحملها عنف الآباء ضد الأبناء، والذي قد يلتقي - في بعض الأحيان - مباركة اجتماعية وتدعمه المعايير الثقافية، وكذلك فإن بعض المتغيرات ذات العلاقات الجوهرية بالعنف ضد الأطفال لا ترتبط بالمتغيرات المتصلة بالعنف بين الإخوة» (طريف شوقي، محمد فرج، 2002، ص7).. لكن هذه المظاهر لها تأثير مباشر على معنويات وعقلية الأطفال.

وعموماً يمكن تعريف العنف الأسري بما يلي:

هو استخدام غير مبرر للسلطة والقوة يهدف إلى إيذاء طرفٍ ضعيف، ويظهر بين أفراد الأسرة الواحدة والمكوّنة من الوالدين وأولادهم، وقد يكون عنفاً جسدياً أو معنوياً بين الوالدين، وقد يكون عنفاً جسدياً أو معنوياً موجهاً من الوالدين للأولاد.

انتشار العنف الأسري:

هناك رأي شائع أن العنف الأسري أمر نادر، وهذا بسبب إمكانية إخفائه، و صعوبة قياسه عند المحاولة، ولكن هذا لا ينفي حقيقة وجوده، وتشير الهيئة القومية في مصر لمنع الإساءة للأطفال بأن (3140000) طفل تعرضوا لنوع من أنواع الإساءة الجسدية أو الجنسية، والإهمال والإيذاء النفسي.

وأشار مسح سنوي أن 11% من الآباء والأمهات الذين شملهم المسح كانوا على درجة بالغة من الشدة والعنف مع أطفالهم من خلال العض والركل والضرب بالقبضة أو بأداة ما، والضرب المبرح، أما العنف بين الزوجين فقد أشار المسح إلى أن 28% من المتزوجين قد تعرضوا للعنف الشديد من الزوج لمرة واحدة على الأقل في حياتهم وأن 16% منهم يتعرض للعنف مرة واحدة خلال العام الواحد وأن 6% يتعرضون للعنف الحاد بشكل مستمر، أما عن أهم أشكال العنف الأسري منها ما هو قديم مثل ضرب الزوجات، وإيذاء الأطفال جسدياً وإهمال الأطفال، وقتل الأقارب، وبعضها حديث نسبياً مثل إيذاء الأطفال نفسياً وجنسياً، وضرب الأزواج، وإيذاء المسنين وفيما يلي عرض موجز لأشكال العنف الأسري وهي العنف بين الأزواج، وعنف ضد الأولاد. » (طريف شوقي، محمد فرج، 2002، ص7).

2- تفسير العنف الأسري:

يعد العنف الأسري أحد صور الصراع الذي يحدث في التنظيمات الإنسانية، وهو جزء ضروري وحيوي لتقدم ونمو المجتمعات بسبب متطلبات التغيير والتحديث سعياً للتوافق والتكيف،

وقد ينتج عن كبت الصراع فشل في التوافق مع الظروف المتغيرة، وعلى رغم من أهمية الصراع يخشى الناس الصراع ويعملون على تجنبه، وحاول الباحثون تفسير العنف الأسري بحسب خصائص الشخص العنيف والشخص الضحية، وذلك كما يلي:

3- خصائص الشخص العنيف:

أشارت النتائج أن الشخص العنيف في أسرته قد يكون مضرراً انفعالياً، أو منخفض الذكاء، ويعاني من ضعف القدرة على السيطرة على انفعالاته، أو قد يكون من المدمنين على الكحول أو المخدرات.

وأهم خصائص الوالدين الذين يؤذيان أطفالهما مايلى: (فاخر نبيل، 2004، ص ص 5-6).

- ضعف البناء النفسي.
- عدم النضج الانفعالي الاجتماعي.
- انخفاض تقدير الذات.
- الشعور بعدم الكفاءة الشخصية.
- الجهل بحاجات الأبناء.
- الفقر والبطالة وانخفاض مستوى التعليم.

4- أسباب العنف وآثاره على الأسرة:

تعدد أسباب العنف الأسري، منها ما يتعلق بالمعنف ومنها ما يتعلق بالمعنف.

4-1- أسباب تتعلق بالمعنف: (القائم بالعنف):

توضح الوقائع والدراسات أن الذين يتسببون في أفعال العنف في داخل الأسرة هم أفراد عاديون، ومن عامة الناس، ولا ينتمون بالضرورة إلى فئة منحرفة، لكن بعض الباحثين يقول أن نسبة عالية من المتسببين في أفعال العنف العائلي هم من الذين عندهم تاريخ مع الجريمة، فقد وجد أحد الباحثين وهو (Grayford) أن خمسين بالمائة من الأزواج الذين ضربوا زوجاتهم سبق لهم أن قضوا وقتاً في السجن، إذ إن العنف عند هؤلاء ليس بالشيء العارض بل هو الطريق لوضع حد لمختلف ألوان الاختلاف مع الآخرين» (مصطفى عمر التير، مجلة الفكر العربي، شتاء 1996، العدد 83، السنة 17، ص 38).

وتعود الأسباب التي تؤدي إلى استخدام الشخص للعنف إلى ما يلي:

أ- اعتقادات الجاني والتي تجعله يؤمن بمشروعية العنف، ومن الآيات القرآنية التي يمكن الاحتجاج بها قول الله تعالى: ﴿وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُورَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاجْزَوْهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ

وَأَضْرِبُوهُمْ فَإِنْ أَطَعْتُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِمْ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا * وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَأَبْغُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴿[النساء، 34-35]﴾.

ب- التربية التي يتلقاها الطفل من بيئته ومجتمعه وأسرته والتي تصور له فعل العنف وكأنه أمر طبيعي يحصل في كل بيت وداخل كل أسرة، وقد يكون الطفل قد تربى على العنف منذ صغره، مما يجعل هذا الأمر ينطبع في ذهنه، ويجعله أكثر عرضة لممارسة هذا العنف في المستقبل، وقد أثبتت الدراسات الحديثة «أن الطفل الذي يتعرض للعنف إبان فترة طفولته يكون أكثر ميلاً نحو استخدام العنف من ذلك الطفل الذي لم يتعرض للعنف فترة طفولته (عبد الله بن أحمد العلاف، موقع صيد الفوائد على الشبكة العنكبوتية، www.saaaid.net، ص 6).

وهذا ما يؤكد على دور التربية التي يتلقاها الفرد في صغره على تنشئته الاجتماعية واكتساب السلوك العنيف من بيئته الأسرية.

ج- تفريغ الانفعالات التي يشعر بها المعنف في حياته اليومية مثل الغضب والضغط الذي يلاقه في المجتمع أو في العمل وخاصة من رؤساء العمل، والغيرة التي هي انفعال مركب من حب التملك والشعور بالغضب.

د- الأسباب النفسية التي تفقد المعنف عقله وتخرجه عن طوعه. ومن نماذج الأمراض النفسية التي قد تؤدي إلى العدوان «السيكوباتية»، وهي ما يعرف بحالة التخلق النفسي أو الروحي. ويبدأ تطور الحاسة الخلقية عند السيكوباتيين منذ الطفولة، حيث يبدي السيكوباتيون سلوكاً عدوانياً منذ السنين الأولى لحياتهم (أنتوني ستور، 1975م، ص 153).

هـ- الانحرافات الأخلاقية مثل شرب الخمر التي توجب المخالفات العائلية وتؤدي إلى اللجوء إلى العنف، وفي دراسة للمقدم «سعاد عبد الله محمد» نائب رئيس قسم مكافحة المخدرات بعدن، تبين «أن جرائم الاعتداء على المحرمات في اليمن كان معظمها بسبب تعاطي الخمر وقلة الوازع الديني (محاسن الحواتي، موقع أمان على الشبكة العنكبوتية، www.amanjordan.org).

و- التأثير بما تعرضه وسائل الإعلام من مشاهد تشجع على العنف، ومن ذلك مشاهدة الأفلام العنيفة التي تدفع الطفل إلى تطبيق ما رأى على أسرته، وقد أثبتت الدراسات خطأ هذه النظرية إذ إن التعرض لوسائل الإعلام التي تعرض الممارسات العنيفة «لا تنفص عن الفرد بقدر ما تدفعه وتحرضه على ممارسة السلوك العنيف» (محمد بن عبد الرحمن الحضيف، 1994م، ص 73).

ومن هنا يطرح إشكال المراقبة الأسرية على الطفل بخصوص مشاهدة البرامج التلفزيونية التي تحمل قيم العنف.

وقد دلت الأبحاث على وجود علاقة بين ارتفاع نسبة الجريمة وبين العنف المشاهد عملاً بنظرية التعلم الاجتماعي التي ورد ذكرها سابقاً. وقد نشرت منظمة الائتلاف الدولي ضد العنف التلفازي «بحثاً استغرق إجراؤه (22 عاماً) أظهر الأثر التراكمي للتلفاز الذي يمتد حتى عشرين سنة لتظهر نتائجه. قال الباحث: «هناك علاقة مباشرة بين أفلام العنف التلفازي في الستينات وارتفاع الجريمة في السبعينات والثمانينات». وقالت المنظمة: إن ما يتراوح بين 25 بالمائة و50 بالمائة من أعمال العنف في سائر العالم سببها العنف في التليفزيون والسينما» (مروان بكجك، 1986م، ص 129).

4-1- أسباب تتعلق بالمعنف:

تساهم بعض الاعتقادات الخاطئة والتصرفات السيئة التي تقوم بها الضحية في تعرضها للعنف الأسري، ومن هذه الاعتقادات والتصرفات:

أ- استهائته بالجاني ومحاولة التقليل من شأنه أمام الآخرين مما يدفعه إلى الانتقام منه بعد ذلك انتقاماً يرد فيه الإذلال ويسترد فيه كرامته.

ومن هذه النماذج أيضاً استفزاز الأبناء لوالديهم حين يهملون دراستهم، أو يثيرون ضوضاء في المنزل حينما يرغب الوالد في الراحة والهدوء، أو حين يعتدون على أخوتهم، أو حين يرفضون الالتزام بأداء الفروض الدينية طريف (شوقي محمد فرج، مرجع سابق، ص 19-20).

عامر مصباح، التنشئة الاجتماعية والسلوك الإنحرافي لتلميذ.

ب- رضا الضحية بالعنف الممارس ضده، وعدم محاولته تغييره نتيجة الخوف من الجاني، بل إنه يتصرف تصرفات مدافعة عن الجاني مما يجعل المعنف يستمر في عنفه.

والأسباب التي تدفع الضحية إلى الرضا عن العنف الموجه إليه وعدم التحدث عنه، هي المعتقدات التي تجعله أكثر تقبلاً لدوافع ارتكاب العنف من قبل الجاني، ومن هذه المعتقدات ما يلي:

1- اعتقاد بعض الضحايا أن العنف هو دليل حب الجاني للضحية ودفاعه عن مصلحته.

2- الخوف النفسي عند بعض الضحايا من الجاني والذي يدفعهم إلى الامتناع عن التبليغ عن العنف، مثل خوف الأم على أطفالها من أن تتركهم تحت رحمة أب عنيف يضرهم، والخوف من وصمة المطلقة وما ينتج عنها من ظلم المجتمع للمطلقة، أو لخوفها من التعرض لردود فعل انتقامية إذا طلبت الطلاق من زوج متسلط.

5- الطفل والتنشئة الاجتماعية:

تعتبر عملية التنشئة الاجتماعية بمثابة المرحلة التي يتلقى فيها الطفل مبادئ التربية الأولى،

حيث تعتبر «العملية التي يتم من خلالها نقل القواعد ومعايير السلوك والتوقعات، والمعرفة الخاصة بثقافة الكبار إلى الأطفال من خلال مراحل النضج والنمو» (عامر مصباح، 2003، ص 29). ويعرفها «محمد الجوهري» بأنها «عملية اجتماعية أساسية تعمل على تكامل الفرد في جماعة اجتماعية معينة، وذلك عن طريق اكتساب هذا الفرد ثقافة الجماعة، ودورا يؤديه في هذه الجماعة» (محمد الجوهري وآخرون، 1994، ص 81).

ويعرف guy rocher التنشئة فيقول «هي اكتساب الطرق في السلوك والتفكير والشعور التي تخص الجماعات والمجتمع... والطفولة الأولى هي المرحلة الأكثر تأثيرا وقوة في التنشئة الاجتماعية... والأكثر استعدادا للعلم» (غي روشي، ج 1، ص 165).

ويعرفها محمد عاطف: «هي ذلك النوع من التعليم الذي يسهل في قدرة الفرد على أداء الأدوار الاجتماعية، فهي تعليم ذو توجيه وكيفية خاصة، ومن زاوية بعض الأنساق.. التنشئة الاجتماعية تعليمًا مرغوبا وصادقا» (محمد عاطف غيث، ص 123).

ويعرفها صفوح الأخرس: «هي تلقين أعضاء المجتمع الجدد ثقافة المجتمع، ويتم هذا اختصار المدى الواسع من الإمكانيات السلوكية إلى عدد محدود من الأنماط السلوكية التي يرضاها المجتمع ويتقبلها ويمكن الفرد من اكتساب العضوية في المجتمع» (محمد صفوح الأخرس، 1990، ص 150).

كما تعني التنشئة الاجتماعية تلك العملية المستمرة مدى الحياة حيث يمر الطفل بفترة حرجة عندما يستخدم القيم والاتجاهات والأدوار التي تشكل شخصيته، ويؤدي إلى إدماجه في مجتمعه لذا تعتبر هذه المرحلة ضرورية لتكوين الذات للطفل وتطوير مفهومه عن ذاته كشخص من خلال سلوك الآخرين واتجاهاتهم نحوه وكذلك عن طريق تعلم كيفية أداء الأدوار الاجتماعية المختلفة والذي يؤدي بدوره إلى ظهور الذات الاجتماعية (محي الدين مختار، مجلة العلوم الإنسانية، العدد 09، جامعة قسنطينة، 1998).

كما يمكن القول أن التنشئة الاجتماعية هي سيروية للتعليم والنضج والتي تقود بالفرد الى التكيف الاجتماعي، وهي مجموعة من التفاعلات التي تبدأ من مرحلة الولادة وتساهم في بلورة الأنا عند الطفل وتشكله للعلاقات الاجتماعية الخاصة به، وهي التي تكون العامل الجوهري في تكوين الفرد (Gisel (François) et autre; 1990; p 305).

والأسرة هي المسؤولة عن التنشئة الاجتماعية فهي بهذه الوظيفة تغرس في النشء الاعتماد على النفس مما يسمح في المستقبل بالتعاون مع ظروف الحياة بكل صرامة، فالتنشئة الاجتماعية إذن لا تؤثر فقط في تربية الطفل والفرد بل كيف أنها تشترط مقدرته الداخلية على الوعي وتصوغ فهمه لنفسه والآخرين» (طلعت همام، «، 1984، ص 61).

فإذا كانت الأسرة مستقرة فإن الأطفال ينشئون في سكونية وطمأنينة وفي أجواء عائلية مريحة، أما إذا كانت العلاقات الأسرية يسودها العنف وعدم الاستقرار فإن آثار ذلك تكون وخيمة على تنشئة الطفل وعلاقاته مع أقرانه وتحصيله الدراسي وحياته الاجتماعية بشكل عام.

إنّ عملية التنشئة الاجتماعية تحول الطفل من كائن عضوي إلى كائن اجتماعي يلقي ببعض القيم والمعايير من أجل دمج في المجتمع، فالتنشئة الاجتماعية هي عبارة عن العملية التي تطبع في الشخص قيما جديدة وأنواعا من السلوك الملائم للوضع الاجتماعي وتهدف هذه العملية إلى تلقين الطفل قيم ومفاهيم مجتمعه الذي يعيش فيه بحيث يصبح متدربا على أشكال مجموعة أدوار تتحدد نمط سلوكه اليومي وهي عملية مهمة لكل فرد من المجتمع.

6- تأثير العنف على عملية التنشئة الأسرية:

يساهم العنف الأسري في إعاقة حركة الأسرة، ويجعل من الصعب عليها القيام بوظائفها لاسيما الوظائف الاتصالية بين أفرادها وتختلف الآثار التي تظهر على الضحية التي تتعرض للعنف الأسري باختلاف الشخص الذي يقع عليه العنف، فالطفل الذي لم تتكون شخصيته بعد، يختلف عن المرأة التي تتعرض للعنف الزوجي بعد زواجها. وكذلك عن العنف الممارس ضد كبير السن الذي يحتاج في آخر شيخوخته لمن يحترم سنه ويشبع حاجته للحب والرعاية والحنان.

وبالإجمال فإن الدراسات تؤكد على آثار ضحية عديدة تظهر نتيجة العنف الممارس في الأسرة، فقد أبرز التقرير الذي صدر عن منظمة الصحة العالمية في 24 تشرين الثاني/نوفمبر 2005 | جنيف/ لندن أنّ ظاهرة العنف المنزلي تسبّب في آثار ضحية وخيمة (العنف الزوجي وآثاره الصحية، دراسة لمنظمة الصحة العالمية، موقع مكتوب، عالم الحياة الزوجية على الشبكة العنكبوتية، www.3.maktoob.com.arb). وكذلك جاء في دراسة أخرى للمنظمة: «إن المشقة المزمنة الناجمة عن التعرض للعنف والخوف المتواصل من حدوثه يدفع بالضحايا إلى التردد على عيادات الأطباء طلبا للعلاج من بعض الأعراض النفسجسمية، كالصداع والسعال والشعور بالوخز والتنميل والأرق ونقص الوزن. (طريف شوقي محمد فرج، العنف في الأسرة المصرية، ص-3 4).

6-1- آثار العنف على الطفل:

وتتمثل أهم مظاهر العنف ضد الأطفال فيما يلي:

الإيذاء الجسدي:

ويشمل هذا النوع من العنف على الضرب والصفع، والدفع واللكم، والركل وضرب الرأس، والهز بقسوة، والحرق، والقذف بمواد صلبة، وهذا ما يؤثر على نفسية الطفل ويولد لديه الكثير من الضغائن والعقد النفسية التي يصعب معالجتها مستقبلا.

الإهمال و الإيذاء النفسي:

وهو الإيذاء الانفعالي، والإيذاء المعنوي، والعدوان اللفظي، أو التشجيع على السرقة والكذب والغش وتناول الكحول والمخدرات، ويتضمن ذلك إرهاب الطفل والتربص به، وكذلك الرفض والنبد وإطلاق ألقاب سيئة على الطفل وكذلك حرمان الطفل من بعض الأشياء.

مشاهدة العنف بين الزوجين:

وهو ما يترتب عليه من ألم نفسي جراء المشاجرات والسلوكات العنيفة بين الزوجين التي يشاهدها الطفل فيشعر بالاغتراب وعدم الطمأنينة وينشأ في حرمان من عاطفة وحنان الأبوين. تبدأ نتائج هذا العنف تظهر على الأطفال في سن مبكرة عندما يكونون أجنة في بطون أمهاتهم حيث يصابون بأذى نتيجة ضرب آبائهم أمهاتهم، وبعد ولادة هؤلاء الأجنة فإن الخطر يتسع (طريف شوقي محمد فرج، ص 4-5).

ومن الدراسات التي تناولت آثار العنف على الأطفال اثنتان: واحدة قام بإجرائها المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية في مصر تحت عنوان «ظاهرة العنف داخل الأسرة المصرية، تبين فيها «أن الأطفال الذين يتعرضون لسلوك عنف (ضرب، جرح، إهمال، قسوة في المعاملة) لا يزدهرون عاطفياً، وإذا أنجبوا فإنهم لا يعرفون كيف يستجيبون لاحتياجات أطفالهم العاطفية، وينتهي بهم الأمر إلى الإحباط، فيهاجمون أطفالهم أو يهملونهم» (احمد المجذوب، 2003م، ص 106).

أما الدراسة الثانية فقد وردت في كتاب الدكتور «رجاء مكي» والدكتور «سامي عجم»، تحت عنوان «إشكالية العنف» ورد فيها ذكر لآثار وعواقب إساءة معاملة الأطفال والتي تشمل: «العواقب العصبية، والعقلية، والتربوية، والسلوكية والعاطفية». فقد ينتج عن الإساءة العاطفية سلوكيات إنعزالية سلبية، أو عدائية، أو نشاط مفرط» ويرافق ذلك التبول اللاإرادي، نوبات الغضب، عدم احترام الذات، تأخر في الدراسة وحذر من الكبار. وينتج عن الإساءات الجسدية إعاقات دائمة نتيجة إصابات الرأس وارتفاع معدلات الانتحار والتفكير بها، أما الإساءة الجنسية، فينتج عنها توتر، خوف، قلق، غضب، سلوكيات جنسية غير مناسبة» (رجاء مكي، سامي عجم، 2008م، ص 106).

ومن التأثيرات الأكثر خطورة ما يصيب الأبناء في حياتهم العلائقية مع الجنس الآخر مستقبلاً، إذ إن الكثيرين منهم وبخاصة الإناث ترسخ لديهم قناعة لا وعية بأن الحياة الزوجية عذاب في عذاب، لذا نرى البنات يمتنعن عن الزواج ويرفضن أي شاب يتقدم لخطبتن لأنه برأيهن يمثل صورة الأب الظالم والعنيف، وأن حياة العزوبة (مع السعي لإيجاد وظيفة أو مهنة) هي أرحم بكثير من الحياة الزوجية (جليل وديع شكور، 1997م، ص 113).

6-2- تأثير العنف على العلاقات بين الآباء والأبناء:

يفترض في العلاقات بين أعضاء الأسرة أن تقوم على التعاون والمودة، ويكون هذا التواصل اما ان يكون أموميا حيث نتواصل الأم مع الأبناء أو أبويا أي تواصل الاب مع الابناء، حيث يؤثر العنف السائد في الاسرة كثيرا في عملية تواصل الأم مع أبنائها وأن التواصل الجيد هو مصدر استقرار الأبناء النفسي ومصدر إشباع حاجاتهم ونمو شخصيتهم، أما تواصلها الرديء فمصدر اضطرابهم النفسي وانحراف شخصيتهم.

أما تأثير العنف على التواصل الأبوي، فالطفل الذي يعيش في بيئة أسرية عنيفة فإنه يجد صعوبات كبيرة في تواصل أبيه ن هذه العلاقة تعتبر أحد الركائز الأساسية التي تقوم عليها التنشئة الاجتماعية وبناء شخصية الابن أو الابنة. فإذا تفاهم الأب مع أبنائه بأسلوب جيد كان تفاعلها الأسري ايجابيا والعكس صحيح.

وتعتبر علاقة بين الآباء والأبناء علاقة وطيدة باعتبار الطفل صفحة بيضاء يعتبر والديه قدوة. حيث يؤثر العنف الاسري أيضا بطريقة عكسية أو بما يسمى بتواصل البنوة الذي يكون من الأبناء إلى الآباء في هذه الظروف قد يترك الأبناء الحوار مع اباؤهم لاسيما في الكبر، وقد ينتج عنه بما يسمى بعقوق الوالدين إذا كان التواصل منعذما.

التواصل بين الأبناء أنفسهم:

أطفال الأسرة هم مواطنون يعيشون في عالم الصغار وفيه يتلقون مجموعة مختلفة من الخبرات خلال معيشتهم المشتركة، وتتميز العلاقات بين الأخوة بالإشباع والشمول كما تنسم بالصراحة والوضوح ومما تجدر الإشارة إليه أن مكانة الأبناء تختلف حسب تسلسلهم داخل الأسرة، وينتج عن العنف الاسري الكثير من الآثار منها سوء التواصل او انعدامه بين الاخوة والأخوات مهما كان نوع العنف الممارس.

خاتمة:

تشير مختلف الدراسات التي ذكرناها إلى أهمية الحوار الأسري وبحث مشكلات نفسيات الأطفال والمراهقين والعمل على حلها وذلك بتكثيف برامج التوعية، وثقيف المجتمع بجميع أطيافه وأعمار أفراداه للتعرف عن مشكلاتهم، وما يتعرضون له من عنف أسري، وأهم خطوة للحد من ظاهرة العنف الأسري هي العمل على إعداد أمهات وآباء المستقبل إعدادا صحيحا وإيجابيا وذلك بتهيئتهم لخوض الحياة الزوجية بنجاح وتوجيههم بالتعامل الصحيح مع أبنائهم وذلك بتعزيز التوعية المجتمعية بمختلف الوسائل والتركيز على الإعلام كونه المؤثر الأول على الأفراد بالإضافة

إلى عقد ندوات ومحاضرات في هذا الشأن، كما ينبغي تطبيق قوانين ردعية لكل من يتسبب في العنف وفرض الرقابة على الأسر التي يتعرض أطفالها إلى العنف باعتبار حماية الطفل ضرورة إنسانية لضمان تنمية مجتمعية خالية من سلبات العنف الأسري، وذلك للحد من توسع وتفاقم هذه المشكلات والحد من أثرها على أمن واستقرار المجتمع وحفاظا على تركيبة جيل المستقبل. وبعد العنف الاسري آلية خطيرة تهدد استقرار الاسرة مهما كان نوعها ويذكر المختصون أهم الوسائل لإرساء تواصل أسري سليم من أجل عدم الوقوع في المشاكل الناجمة عن التواصل السلي داخل الأسرة، يجب نهج سبل تأسيس تواصل قوي وصادق من خلال:

- الحرص على حسن العشرة بالمعروف وكف الأذى، حتى يشعر الجميع بالفائدة الملموسة للتواصل، والحرص على أداء الواجبات قبل المطالبة بالحقوق، فيؤدي الآباء ما وجب عليهم تجاه الأبناء ويبدل الأبناء ما فرض عليهم من واجبات الإحسان وتؤدي الزوجة حق زوجها والزوج حق زوجته.

- العناية بإقامة الدين في الأسرة وصرح الأخلاق والحياة الجادة المنتجة لجميع أفرادها، فالتذكير بالصلوات الخمس ومرافقة الأبناء واللعب معهم، وبذل النصيح في اللباس وعموم الآداب وتحفيظ القرآن ... كلها عوامل تساهم في تلطيف الجو الأسري، والابتعاد عن مظاهر وسلوكات العنف التي تؤثر على استقرار الأسرة وتنشئة أطفالها.

- عقد مجالس أسرية منتظمة لمناقشة ما استجد داخل الأسرة، وضرورة اختيار الألفاظ المناسبة (الكلمة الطيبة) وأدب التحية وإفشاء السلام وتزيين الوجه بالابتسامة واعتماد أسلوب الهدايا ولو كانت رمزية لما لها من أثر كبير في نفسية الآخر، وكذا الاجتهاد في تنويع وسائل إدخال السرور على نفسية الزوجة والأولاد، كتنظيم بعض الرحلات وتناول بعض الوجبات خارج المنزل وزيارة الأقارب، وهذا ما يساهم في تربية الأطفال في أجواء مستقرة.

قائمة المراجع:

1. أحمد السيد وآخرون، علم الاجتماع العائلي، دار المعرفة الجامعية، 2001.
2. طريف شوقي، محمد فرج، العنف في الأسرة المصرية، بحث ألقى في مؤتمر الأبعاد الاجتماعية والجنائية للعنف في المجتمع المصري، المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، 2002.
3. فاخر نبيل، العنف الأسري وأثره على التوافق النفسي لدى المرأة الفلسطينية، بحث مقدم لدى جامعة اليرموك، الأردن، 2004.
4. مصطفى عمر التير، الأسرة العربية والعنف ملاحظات أولية، مجلة الفكر العربي، شتاء 1996، العدد الثالث والثمانون، السنة السابعة عشرة.
5. عبد الله بن أحمد العلاف، العنف الأسري وآثاره على الأسرة والمجتمع، موقع صيد الفوائد على الشبكة العنكبوتية، www.saaaid.net.
6. أنتوني ستور، العدوان البشري، ترجمة محمد أحمد غالي، إلهامي عبد الظاهر عفيفة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة - مصر، الطبعة الأولى، 1975م.
7. محاسن الحواتي، العنف العائلي مظاهره ومعالجته، موقع أمان على الشبكة العنكبوتية، www.amanjordan.org.
8. محمد بن عبد الرحمن الحضيف، كيف تؤثر وسائل الاعلام، مكتبة العبيكان، الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، 1415هـ، 1994م.
9. مروان كجك، الأسرة المسلمة أمام الفيديو والتلفزيون، دار الكلمة الطيبة، القاهرة - مصر، الطبعة الأولى، 1407هـ 1986م.
10. عامر مصباح، التنشئة الاجتماعية والسلوك الإنحرافي لتلميذ المدرسة الثانوية، دار الأمة، الجزائر، ط 1، 2003.
11. محمد الجوهري وآخرون، الطفل والتنشئة الاجتماعية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، 1994.
12. غي روشي، مدخل إلى علم الاجتماع المعاصر، الفعل الاجتماعي، ترجمة مصطفى دندشني، ط 1، المؤسسة الوطنية للدراسات، دار النشر بيروت، ج 1.
13. محمد عاطف غيث، دراسات في علم الاجتماع التطبيقي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت.
14. محمد صفوح الأخرس، علم الاجتماع العائلة، مطبعة الطريق، بيروت، 1990.
15. محي الدين مختار، التنشئة الاجتماعية، المفهوم والأهداف، مجلة العلوم الإنسانية، العدد 09، جامعة قسنطينة، الجزائر، 1998.

16. Gisel (François)et autre; Dictionnaire des science Humaines; Sociologie Psychologie et anthropologie; Nathan; paris; 1990.
17. طلعت همام، «قاموس العلوم النفسية والاجتماعية»، مؤسسة الرسالة، الأردن، دار عمار، ط1، 1984.
18. العنف الزوجي وآثاره الصحية، دراسة لمنظمة الصحة العالمية، موقع مكتوب، عالم الحياة الزوجية على الشبكة العنكبوتية، www.arb3.maktoob.com.
19. أحمد المجذوب، ظاهرة العنف داخل الأسرة المصرية، المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، القاهرة، 2003م.
20. رجاء مكي، سامي عجم، إشكالية العنف: العنف المشرع والعنف المدان، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، 1429هـ، 2008م.
21. جليل وديع شكور، العنف والجريمة، الدار العربية للعلوم، الطبعة الأولى، 1418هـ، 1997م.